حول العالم

الصينيون

مترجمة عن المجلة الجغرافية
للاستاذ
السيد أحمد البروى

يوجد لدينا أي دليل مادي يمكن أن نستدل منه عن المكان الذي اتى منه الصينيون ولمن المحتمل ان يكونوا قد وصلوا الى مكانهم الحالي من الشمال الغربي وذلك حوالي الثلاث آلاف سنة قبل الميلاد.

وتمتد الصين من خط عرض ١٨ درجه شمالا الى ٤٣ درجة شمالا ومن خط طول ٩٨ شرقا الى ١٢٢ شرقا وتبلغ مساحتها حوالي ١ر٥٣٢ر٤٢٠ ميلا مربعاً وعدد سكانها يزيد عن ٤٠٠ مليون نسمة وبها مايقرب من سبعة آلاف ميل من السكك الحديدية وذلك بخلاف السكك الحديدية الجديدة التي تقوم الحكومة الآن في انشائها وحوالي ٥٠ الف ميل من اسلاك البرق التي تربط اهم المدن بعضها ببعض.

وللصين حضارة عظيمة قديمة ترجع الى ٣ آلاف سنة قبل الميلاد ولا زال كثير من مظاهر المدنية القديمة متمثلا في اغلب مناطق الصين التي لم تتأثر الى الآن بالمدنية الغربية وقد وصلت بعض مظاهر الحضارة الغربية الى الموانى الساحلية التي يسكنها الاوربيون وقد اعلنت الجمهورية الصينية في آذار سنة ١٩١٢ م بيانا نتج عنه دستور الصين الجديد الذي كان من اهم اغراضه جعل الحضارة القديمة والمدنية الحديثة يسيران جنباً الى جنب.

والصين الحقيقية لاتتمثل في تلك البلاد والمدن الواقعة على الساحل التي تأثرت بالرجل الاوربي ولا تتمثل في المدن الصينية الكبيرة ولكن الصين الحقيقية تظهر لنا بوضوح في تلك القرى المبعثرة في انحاء الصين الواسعة ولكن يجب ان نبين من الآن ان ما من شخص واحد يمكنه ان يصف لنا الحياة في الصين كلها مهما اوتى من قوة ومقدرة في الوصف والتجوال وكل مايمكن للانسان ان يفعله ان يسجل ما رآه وشعوره واحساساته بالنسبة لهذه الاشياء ثم بعد ذلك يضمها الى الاشياء التي رآها انسان آخر وهكذا ولا يمكن ايضاً لأي شخص ان يعمم ما رآه في جزء من الصين عليها كلها لان ما رآه في شمال الصين لايوجد له اثر في جنوبه ومن يقطن في شرق الصين من الصعب عليه ان يعرف عادات من يسكن في الغرب وذلك كله ناتج من اتساع رقعة البلاد وصعوبة المواصلات من انحائها.

والدين الحقيقي للصينيين هو عبادة ارواح الاجداد واطاعة الابناء للآباء والاجداد وهذا هو اهم شيء اساسي يشكل حياة الشخص الصيني لذلك نجد ان الشخص يعمل على ان تكون له ذرية كبيرة العدد من الأولاد حتى يقدموا له الاحترامات اثناء حياته وبعد مماته واذا لم ينجب عدداً كبيرا ففي امكانه ان يتبنى ما شاء من الأولاد وفي نفس الوقت نجد ان الرجل يضحي بأولاده اذا لم يتمكن من ان يعيشهم مع ابويه وهذا الاعتقاد جعل الرجل يبحث عن الزوجة في سن مبكرة جدا ويصبح هو وزوجته واولاده خاضعين لاحكام الوالدين اثناء حياتهما ولارواحهما بعد الوفاة. ونجد ان ارواح المتوفين لاتستقر ولاتكون في راحة مقيمة الا اذا اعتنى بها الاولاد والاحفاد فيأوا الطعام في فترات منقطعة وصلوا وتعبدوا لهذه الارواح واذا لم يكن المتوفي اولاد او اصدقاء

كان الدكتور عطايا طبيب معارف لواء السليمانية قد اعجبته ابحاث الأستاذ بدوي. فبعث اليه برسالة يرجوه أن ينوره والقراء بمقال عن الصين. فلبى الكاتب طلبه بهذا البحث القيم...

ياريف يا بحبوحة الخلد ويا ... ارومة المجد اذا المجد انتسب
يا وارث الصفات عن آبائه ... ياهدف الاخلاق يازمز العرب
ان (ابنك) الشاعر اهداك على ... بعدك عنه نغمة من الأدب
ارسلها تحية من مزهر ... تقطعت اوتاره ثم اضطرب
فهل تقبلت تحاياه اذا ... لم ير في القوم مجيباً للطلب

النجف: مصطفى جمال الدين

ليعتنوا بروحه بعد الموت تقام حفلات وطنية عامة على ارواح مثل هؤلاء الناس . ولا يمكن لأي شخص ان يخرج عن هذا الدين لانه ـ على حسب اعتقاده ـ سيجلب العار على نفسه اثناء حياته وعلى روحه بعد الوفاة . واذا ما جئت انحاء الصين تجد انهم يشتركون في عباداتهم وتكثر عندهم الآلهة .

فعندهم آلهة الارض ، والهواء ، والنار ، والماء ، وهذه الآلهة ناتجة من ان هذه الاشياء التي يعبدونها وهي النار او الهواء .. الخ ذات قوة خارقة بالنسبة للانسان فهم يعبدونها رهبة وخوفا منها . واذا ما زرت بعض القرى التي اهلها يعبدون الهواء تجد ان جميع منازلهم ذات ارتفاع واحد وذلك ناتج من انهم يعتقدون بان الانسان اذا ما سولت له نفسه ان يرتفع بمنزله الى علو اكثر من جيرانه فان آلهة الهواء تتدخل في الامر وتدمر المنزل .

والقوة الروحيـة الاخرى التي تحرك اهل الصين هي الكونفسيانزم وهذه هي تعاليم الفيلسوف كونفشيوس وهي تعاليم خاصة بواجبات الانسان وخلقه وهي تؤثر في جميع طبقات الشعب وهي تعلم في الصين منذ الفين سنة مضت ويمكن ان نلخص آراء كونفشيوس في جملة واحدة وهي ان العقل والحق لابد وان يقهرا القوة . ونجد ان احتفاظ اهل الصين بحالتهم القديمة واستقرارهم هذا ناتجاً عن تطبيقهم عملياً هذه الفكرة السامية .

وقد الغيت عبادة هذا الفيلسوف في سنة ١٩١٢ م ولكن لا زالت تقام حفلات في المدارس والاماكن العامة بمناسبة عيد ميلاده او غيره اما البوذية فلها تأثير قليل في اهل الصين ونجد ان من اعتنق الدين الاسلامي في الصين يبلغون حوالي العشرة ملايين وقد وجد في سنة ١٩٢٠ م ان عدد الكاثوليك من الصينيين بلغ مليونين والبروتستنت حوالي ٦٠٠ الف .

واهم مايلفت نظر الشخص الذي يزور اي مكان في الصين هو تكاثف عدد السكان الشديد ، واذا ما اراد الانسان ان يبحث عن حمال لحمل شيء ما فما هي الا لحظة بسيطة ويحضر اليه خمسون شخصاً لا يدري من اي مكان قد حضروا .

واذا ما تمكنت من ان تدخل السرور على قلب الصيني وتمكنت من اضحاكه ففي هذه الحالة يمكنك ان تعمل به اي شيء بدون اي اعتراض . فقد كان هناك شخص اجنبي في احدى قرى الصين في الوقت الذي كان فيه الصينيون يكرهون الاجانب ويعملون على ايذائهم . فاراد هذا الشخص ان يضحك من اهل القرية وكان قد اشترى قبل ذلك اثنتي عشرة ورقة تشبه النقود ولكنها تستعمل في الجنائز . وكان قد وضع هذه الاوراق داخل مظلته المقفلة فتجمهر حوله السكان لايذائه فما كان منه الا ان فتح المظلة على رأسه فسقطت هذه الاوراق الى الارض وفي نفس اللحظة بدأ يعمل بعض الحركات المضحكة فما كان من زعماء الشعب المهاجم الا ان وقفوا مندهلين من هذا المنظر وفي نفس الوقت تقـــدم من اثنين من هؤلاء الزعماء وبسرعة مد يده وتمكن من ان يخرج دولارين من انف واذن هذين الزعيمين وبواسطة هذه الحركات المضحكة تمكن هذا الشخص الاجنبي من ان يضحك هؤلاء الناس الغاضبين عليه وتمكن من ان يخرج من المدينة سالماً .

ومن الصعب جدا حقا ان يعرف الانسان كيف يعيش ملايين من الصينين . ففي القرى ـ واغلب الصينيين يعيشون فيها ـ نجد ان عائلة كاملة يمكنها ان تعيش لمدة اسبوع بدرهمين وهم زيادة على ذلك سعداء بمعيشتهم هذه . ويعرف الرجل الصيني بانه قبل انتهاء الشهر يجب عليه ان يبيع احد ابنائه الاعزاء ليدفع ايضا ما عليه من ديون ويعرف ايضا ما تبقى عنده من حاجيات في المنزل ستؤخذ منه سداً لديونه بانه سوف يتشرد مع اولاده وزوجته في الارض فلا يجدون لهم مأوى ولكن نجد انه يتقبل مصيره هـذا وهو غير متضجر . ويمكن للصيني ان يتكيف بسرعة في اي مكان فينتقل من مكان الى آخر يختلف عنه كل الاختلاف ويعيش فيه كانه لم ينتقل اليه حديثا في امكانه ان يعيش في المناطق الباردة في الشمال او يسكن نيويورك او في لندن .

واحسن مثال لتكيف الصيني السريع هو ان هناك بعض الناس من اهالي الصين يعيشون في داخل قوارب في الانهار وفي بعض المجاري المائية . وهذا القارب عادة يتراوح طوله بين ١٢ ، ١٤ قدما وعرضه حوالي ٤ اقدام ويغطى معظم القارب

بقطعة كبيرة من الحصير .

هذا القارب هو المنزل الوحيد لهم الذي يعيشون فيه مدى الحياة وهذا (المنزل) ليس خاصا بالصياد وابنه فقط ولكن غالبا يكون « منزلا » لأكثر من عائلة . وقد تجد في بعض المناطق حوالي ٢٠٠ من هذه القوارب الصغيرة او بمعنى آخر من هذه « المنازل » وهم يصيدون بواسطة طرقهم العتيقة مايكفيهم ويسد رمقهم وهم دائما مسرورون وقانعون بهذه المعيشة وكثير من سكان هذه القوارب لايذهب الى الارض . واولاد هذه العائلات لاتخاف الماء ويمكنها ان تسبح في الماء قبل ان تتعلم السير على الارض ولكن غرامهم وولعهم بالماء يبدأ يقل كلما كبر سنهم وكثير من هؤلاء الصينيين يأخذ آخر حمام له في حياته اثناء طفولته وهم مغرمون بالفن واذا مابدأ احد الاشخاص في عمل شيء ففي نادر لا يكترث بالوقت ويعمل على ان يتقن العمل الذي يؤديه وعادة يقول بانه اذا لم يتمكن من ان ينهي هذا العمل في حياته ففي امكان ابنه ان يحل محله في انهائه . واذا ما اشترى ساعة فانه يشتريها ويحملها لامعرفة الوقت ولكن لان يتسلى بدقات الساعة المنتظمة .

ويمتاز الصينيون بتحملهم الجسماني واعصابهم قوية الا امام شيء واحد يمكن ان يتغلب عليها فالصيني يخشى المطر مثلما يخشاه القط

وقد حدث ان سقطت الامطار بغزارة بعد ان رعدت السماء وبرقت فما كان من بعض الحراس في احد السجون الا ان تركوا اماكنهم ليحتموا من الامطار التي تخيفهم فتمكن عدد من المساجين من الهرب .

ومن الاشياء العجيبة عندهم ما يسمى (الامضاء) والقصة الآن (وقد يقال ان فيها كثيراً من المبالغة ولكن ثلثيها على الأقل حقيقي) تبين لنا هذا الشيء العجيب وتبين ايضا انعدام الروح المعنوية في الشعب .

فاذا ما خصص ٢٠ الف دينار لانارة مدينة بكين مثلا يأخذ الوزير المختص نصف هذا المبلغ نظير (الامضاء) وبعد ذلك تمر النقود الباقية على الكاتب فيأخذ هذا نصف ما تبقى نظير « الامضاء » فلم يتبق من المبلغ الا خمسة آلاف دينار . ثم تبدأ النقود تتنقل من يد لاخرى حتى تصل في النهاية الى ٧½ درهما ثم يسلم هذا المبلغ لاحد الموظفين لشراء فتيلة وزيت لانارة المدينة فيقوم الموظف بشراء ماكلف به بعد ان يكون قد اخذ لنفسه درهمين ثم يضع الزيت في اناء وفي وسطه الفتيلة في وسط الطريق لانارة المدينة وفي هذه الاثناء يمر احد الفقراء فيشرب الزيت ويستولي على الاناء .

وبهذه الطريقة يثرى الحكام باسرع مايمكن .

والصدق من الاشياء النادرة عند كثير من الصينيين . فمثلا اذا ما سألت عن احد الاشخاص لم تكن قد رأيته من قبل فانه يستقبلك بنفسه ثم يعتذر بكل ادب بانه غير موجود .

وهم شعب محافظ ولا يحاول التجديد ومن الصعب ان ينجح الشخص في تحويلهم من القديم الى الحديث فاذا احضرت بعض الآلات الحديثة التي تساعد على انجاز العمل بسرعة فان الصيني ينظر اليها نظر طفل صغير ينظر الى شخص يخرج ارانب من القبعة . وقد احضر احد الاوروبيين في الصين آلة لغسل الملابس حتى ينقذ ملابسه من ان تتمزق عند غسلها بالطريقة الصينية . وفعلا تمكن الخادم الصيني من استعمالها بسهولة ولكنه في ثاني يوم اتى بملابس سيده وبدأ بغسلها بالطريقة المعتادة وذلك بضربها على قطع من الحجارة لتنظيفها وتمزيقها في نفس الوقت وعندما سأله سيده لماذا لم يستعمل تلك الآلة الحديثة اجاب الخادم بان الطريقة الاوروبية الحديثة ربما تكون حسنة ولكن الطريقة التي كان يستعملها اجداده واباء اجداده تكون بطبيعة الحال احسن طريقة .

وتشتهر الصين بمجاعاتها الكثيرة وبفيضانات انهارها المستمرة وفي نفس الوقت نجد ان الحكومة والسلطات المحلية في البلاد لم تحرك ساكنا الى الآن لدرء خطر هذه الكوارث المستمرة

اما العقوبات هناك فيوقعها ضابط الشرطة ولكن في كثير من الاحيان يأخذ بعض الافراد على عاتقهم تنفيذ القانون وليس من الغريب ان يضرب الشخص بالعصا الفين او ثلاثة آلاف ضربة نظير اساءة بسيطة الحقها بشخص آخر . وقد طلب بعض الاشخاص بان الضرب يعتبر قسوة فلابد من اصلاح السجون وجعلها تلائم هذا العصر ويجب ان تكون بمثابة الاصلاح للمجرم ولكن في الوقت نفسه نجد ان كثيراً من المتعلمين يقولون بان تحسنت السجون لزاد عدد الجرائم وعدد مرتكبيها لانهم سيجدون لهم ماوى نظيفاً وماكلا جيدا منتظما احسن مما

يجدونه في الخارج فتصبح السجون مأوى لمثل هؤلاء العاطلين ولا توجد عندهم فكرة ترمي الى تحسين المجتمع . فمثلا اذا ما نظرنا الى ما يسمى بالطرق عندهم نجدها عبارة عن ارض مهدتها اقدام المارة والدواب في ذهابها وايابها ومن كثرة المرور عليها ينخفض مستواها عن مستوى الارض المجاورة لها فاذا ماسقطت الامطار تتحول هذه الطرق الى قنوات يسبح فيها الاهالي .

والطرق ضيقة جدا لدرجة ان الشخص اذا اراد ان ينتقل من دار الى اخرى واوقف عربة امام منزله لنقل اثاثه فانه يعطل المرور في الطريق اذ الطريق لايسع لوقوف عربة وسير المارة بجوارها وكل مايريد ان يفعل الانسان يفعله في وسط الطريق فتضع السيدة الملابس المبللة على الحبل تجف في وسط الطريق والحلاق يحلق زبائنه في الطريق . كل هذا وغيره يحدث في عرض الطريق بدون ان يتقدم احد للاحتجاج على هذا الوضع . واذا ما حاولت ان تناقش الصيني في مسألة عامة عن المجتمع او غيره فانه ينظر اليك باندهاش لانك تسأله عن شيء ليس من اختصاصه ويجيبك بان هناك موظفين يتسلمون مرتبات نظير تنظيف الشوارع مثلا او غيرها واذا ما شاهدوا احدى النساء الاجنبيات تلعب التنس تجد انهم يندهشون من جريانها وراء الكرة لضربها قائلين ان في امكانها ان تستأجر شخصاً يلاحق الكرة لضربها الا بضعة فلوس يضرب الكرة لها طول النهار وفي نفس الوقت لاتتعب هي نفسها .

اما الوطنية بالمعنى المعروف فهي غير معروفة عندهم . فهي تنحصر في حب الشخص لاهله ومنزله وكل ما يأمله الصيني هو ان يعيش ويموت ويدفن في الارض التي نشأ عليها ودفن فيها اجداده . واقصى عقوبة ممكن ان توقع على الصيني هي نفيه وحيداً من البلدة التي نشأ فيها الى مكان بعيد واذا ما حاول الاتصال بمن تركهم خلفه من زوجة واولاد وضبط فان احد هؤلاء يقتل ولكن ظهرت عندهم الان نزعة جديدة هي مناداتهم بان الصين للصينيين ومقتهم الواضح للاجانب وكل ماهو اجنبي واذا ما اقتبسوا شيئاً من عادات الغرب فان هذا يكون تحت ضغط الظروف

النجف : « يتبع » سيد احمد البدوي

للأستاذ تحسين شراره

الفقيرة

صور كاحلام النعمي تختال في آفاق ظني
رفرافة الاطياف تزخر بالحنان المطمئن
فيها من الاغراء ما يذكي بشعري كل فن
من مقلتيك تسلسلت توحي لاجساسي التمني
فعرفت اني قد وقعت صريع حبك او كأني

رحماك هذا آخر الالحان من قلبي يغني
لم يبق في روحي سوى وتر باطماعي مرن
هي نبضة اخشى عليها ان تضيع بغير وزن
لم يبق لفج الحب من زاهي شبابي غير حزني
اودعت في الماضي صباي وعدت من امسي بأبني

وجعلت احيا للعذاب اذوقه من كل لون
لا فرحة تذكي ولا امل يهدهد او يمني
ولظى التذكر ملء ايامي واقداحي ودني
حتى اطل سناك يبهر بانبثاق النور عيني
واريني سحر الحياة وبارقات غد اغن

وجعلت انوار الهناءة والصبابة ملء كوني
وبعثت في قلبي حناناً دافق النذات يغني
فافقت من ماضي انفض عن بقايا القلب وهني

رحماك نجوى لا يثر حبي العنيف بك التجني
رحماك هذي آخر الخفقات من رنات لحني
مشبوبة الأحلام تحمل امنيات الحب عني
جمحت اليك تصور الآلام والآمال مني
ترديدها هذيان قلب ليس يدري كيف يغني

بنت جبيل : لبنان تحسين شراره